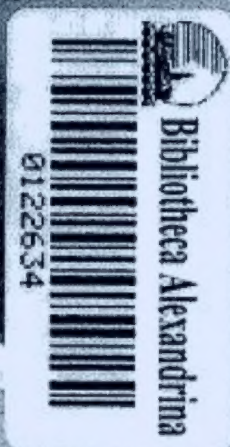


الاستعداد للموت وسؤال القبر

زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري

محقق وتصحيح
سعد كريم الدرعي



الاستعداد للموت وسؤال القبر

زين الدين بن علي بن أحمد المعبري الملباري

تحقيق د. محمد
سعد كريم الدويهي



١٤١٧٢٣ هـ

حقوق الطبع محفوظة
للمنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ابن عبد الله النبي الأُمى الأمين بعثه الله مناراً للسائرين وهادياً للحائرین فاجعله اللهم شفيعنا يوم الدين وبعد إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

أما بعد .
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٣٢) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ لقمان آية ٣٣ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ وقال أيضاً ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾
إن الطبيب بطبفه ودوائه

لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى
قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوى والمداوى والذى
جلب الدواء أو باعه ومن اشترى
ولذلك أيها الأعزاء إذا كان الموت مصير كل حى فلا بد من الاستعداد له
ولا بد من إحداث توبة صادقة قبل الموت وصدق النية فيها .
أفر إليك منك وأيمن إلا
إليك يفر منك المستجير
أنا العبد المقر بكل ذنب
وأنت المولى السيد الغفور

فإن عذبتنى فسوء فعلى
وإن تغفر فأنت به جدير
ولا شك أنه لابد من حسن الظن بالله تبارك وتعالى لأن الله تبارك وتعالى
عند ظن عبده به كما أخبر عن ذلك فى الحديث الصحيح .
ثم أما وبعد

فإن هذا الكتاب (الاستعداد للموت وسؤال القبر) قد حوى فى صفحاته
درراً ثمينة تخص كل إنسان زاهد تقى ورع يخشى الله تبارك وتعالى ويخاف
عذابه فتضمن التحذير من الدنيا وعدم الاغترار بها ووجوب الاستعداد للموت
إلى أن وصل إلى مرور الناس على الصراط وخلود المؤمنين فى الجنة وخلود
الكافرين فى النار . نعوذ بالله تبارك وتعالى من سوء العاقبة .
المصنف .

هو زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن على بن أحمد المعبرى
المليبارى من أهل مليبار بلدة فى وسط الهند تميز بأنه فقيه عابد زاهد ورع
شافعى المذهب .
مصنفاته :

له مصنفات عديدة فى كثير من المجالات الفقهية منها : فتح العين بشرح
قرة العين ، وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد ، والاستعداد للموت الذى هو بين
أيدينا الآن وغيرها كثير .

توفى المليبارى رحمه الله تعالى سنة ٩٨٧ هجرية انظر الاعلام للزركلى
٦٤/٣

نسأل الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما فيه إنه على كل شىء قدير .
وبالاجابة بصير إنه نعم المولى ونعم النصير
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب
سعد كريم الدرعمى
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك ، ونصلي ونسلم على محمد رسولك وعبدك ،
وعلى آله وأصحابه الموفين بعهدك .

وبعد : فهذا مختصر ضمنت فيه بعض أحاديث ذكر الموت وما بعده في
فصول متوسطة ، بدأت أحاديث كل فصل بما يناسبها من آيات وأرذفتها
بآثار ومواعظ زاجرات عسى الله أن ينفعني به وأحبابي والمسلمين والمسلمات .

المؤلف

زين الدين بن علي المعبري المليباري

التحذير من الاغترار بالدنيا

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٩) وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ (١١) .

وفى كتاب الترمذى^(٢) قال النبى ﷺ : « أكثروا ذكر هازم اللذات الموت »

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ

قال : « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » وفى روايه مسلم : « يبيت ثلاث ليال » قال ابن عمر رضى الله عنهما ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندى وصيتى .

وفى صحيح البخارى^(٣) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « أخذ رسول الله بمنكبي وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور » أى لا تركزن إليها ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه . لا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

وقال رسول الله ﷺ : « اثنتان يكرهما ابن آدم يكره الموت والموت خير

(١) سورة المنافقون الآيات ٩ - ١١ .

(٢) هو أبو عيسى محمد بن ثور الترمذى نسبة إلى ترمذ إحدى بلاد ما وراء نهر جيحون ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفى سنة ٢٧٩ هـ له السنن المشهورة ألفه فى أحاديث الأحكام .

(٣) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى أبو عبد الله إمام الدنيا ، جيل الحفظ ثقه الحديث من الطبقة الحادية عشرة . توفى سنة ٢٥٦ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٩ / ٤٧ .

للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب .
وقال حاتم الأصم : لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف
قصر الأمل .

وقيل للحسن^(١) ألا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك .
إعلم أنه يسن لكل واحد من المكلفين إكثار ذكر الموت وينبغي أن يستعد له
بالتوبة إلى الله تعالى ورد المظالم والمريض أكد لأنه يرق به قلبه ويخاف فيرجع
عن المظالم ويقبل على الطاعات .

واعلم أن بنى آدم طائفتان طائفة نظروا إلى شاهد خيال الدنيا وتمسكوا
بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا في النفس الأخير ، وطائفة عقلاء جعلوا
النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا ماذا يكون مصيرهم ، وكيف يخرجون من
الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم وما الذى ينزل معهم من الدنيا فى قبورهم وما
الذى يتركونه لأعدائهم ويبقى عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على
كافة الخلق وهى على الملوك وأهل الدنيا أوجب لأنهم كثيرا ما أزعجوا قلوب
الخلق وأدخلوا فى قلوبهم الرعب فإن الحق تعالى ذكره ملاكا يعرف بملك
الموت لا مهرب لأحد من مطالبته ونشيبته وكل موكلى الملوك يأخذون جعلهم
ذهبا وطعاما ، وهذا الوكيل لا يأخذ سوى الروح جعلاً وسائر موكلى السلاطين
تنفع الشفاعة وهذا الموكل لا تنفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون
من يוכלون به اليوم والساعة وهذا الموكل لا يمهل نفساً واحداً .

ويروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع
خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ما جمعه ، فجمع
نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا ساميا يصلح للملوك والامراء والأكابر
والعظماء وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان والأجلاذ والحرس

(١) هو الحسن البصرى بن أبى الحسن اسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد . ولد
لستين بقينا من خلافة عمر بن الخطاب رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء
التابعين بالقرآن والفقه والأدب . مات سنة ١١٠ هـ وله تسع وثمانين سنة . انظر المشاهير / ٨٨ .

والأجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض الأنام أن يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده ، وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفس قد جمعت أنعم الدنيا بأسرها فالآن أفرغى لذلك وكلى هذه النعم مهنةً بالعمر الطويل ، والحظ الجزيل ، فلم يفرغ مما حدث نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقه ومخلاته فى عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضيف ما هذا الحرص وسوء الأدب اصبر إلى أن نأكل ونعطيك مما يفضل ، فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج إلى فلي إليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا له تنح أيها الضيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك ، فقال : أنتم عرفوه ما ذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهزتموه وجردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقتة الأولى فنهضوا من أماكنهم بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال : الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت وطاشت حلومهم وارتعدت فرائضهم وبطلت عن الحركة فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا منى وعوضاً عنى فقال ما آخذ إلا روحك ولا أتيت إلا لأجلك لأفرق بينك وبين النعم التى جمعتها والأموال التى احتويتها وخزنتها فتتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذى غرنى وأبعدنى ومنعنى من عبادة ربي وكنت أظن أنه ينفعنى فاليوم صار حسرتى وبلائى وخرجت صفر اليدين منه وبقي لأعدائى فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأى سبب تلعننى العن نفسك فإن الله تعالى خلقنى وإياك من تراب وجعلنى فى يدك لتزود بى إلى آخرتك وتتصدق بى على الفقراء وتزكى بى على الضعفاء ولتعمر بى الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عوناً لك فى اليوم الآخر جمعتنى وخزنتنى وفى هواك أنفقتنى ولم تشكر حقى بل كفرتنى فالآن تركتنى لأعدائك وأنت بحسرتك وبلائك فأى ذنب لى فتسببى وتلعننى ، ثم إن ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فسقط على سريره صريع الحمام :

* * *

تجهز إلى الأجداث^(١) ويحك والرمس^(٢) جهازا من التقوى لأطول ما حبس
فإنك لا تدري إذا كنت مصباحاً بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسي
سأتعب نفسي كي أصادف راحة فإن هوان النفس أكرم للنفس
وأزهد في الدنيا فإن مقيمها كظاعنها^(٣) ما أشبه اليوم بالأمس



(١) الأجداث : أى القبور .
(٢) الرمس : أى الدفن .
(٣) أى الراحل عنها والمفارق لها .

الاستعداد لنزول الموت

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۚ (١٠١) ﴾ إلى آخر السورة .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ان النبي ﷺ غرز عوداً بين يديه وآخر الى جنبه وآخر أبعد منه فقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « هذا الانسان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لرجل وهو يعظه : « اغتتم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » وكتب الإمام أبو حامد الغزالي (٢) إلى الشيخ أبي الفتح بن سلامة « قرع سمعي بأنك تلتمس مني كلاماً وجيزاً في معرض النصيح والوعظ وأنى لست أرى نفسى أهلاً له فان الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم . الظل والعود أعوج » .

وقد أوصى الله تعالى عيسى بن مريم عليهما السلام : يا ابن مريم عظم نفسك فإن اتعظت فعظم الناس وإلا فاستحي منى ، وقال نبينا ﷺ : « تركت فيكم ناطقاً وصامتاً » فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لم يتعظ بهما كيف يعظ غيره ، ولقد وعظت نفسى بهما وقبلت وصدقت قولاً وعلماً وأبنت وتمردت تحقيقاً وفعلاً فقلت لنفسي أما أنت مصدقة

(١) سورة المؤمنون الآيات ٩٩ : ١٠١ .

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي . ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف كإحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة المنقذ من الضلال وأسرار الصلاة وغيرها . انظر شذرات الذهب ٤ / ١٠ .

بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت : بلى فقلت لها قد قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ .

فقد وعد الله بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولو أن طبيباً نصرانياً وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألد الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنفت منها ، أفكان النصراني عندك أصدق من الله تعالى فإن كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشد عليك من النار فإن كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد أخبر الناطق عن الصامت .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢١) .

وقلت لها هبي أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعاً عليك ما أنت متمسكة به وسالماً منك كل ما أنت راغبة فيه وأن كل ما هو آت قريب وأن بعيد ما ليس بآت .

وقد قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ .

فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان منها قولاً لا يحصل وراءه ولم تجتهد قط في تزود الآخرة كاجتهادها في تدبير العاجلة ولم تجتهد في رضى الله تعالى كاجتهادها في طلب رضاها وطلب

(١) سورة هود الآيات ١٥ : ١٦ .

(٢) سورة الجمعة الآية ٨ .

(٣) سورة الشعراء الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧ . أفرايت أى أخبرنى ، ما أغنى عنهم : أى شىء أغنى عنهم لم يغنى .

رضى الخلق ولم تستحي من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم
تشمع لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل
الصيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه
فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا
يتصور أن تختطف منها ، فقلت لها ألسنت تستعدين للصيف بقدر طوله
وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصى الله بقدر
صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب
الذى لا يرخص في تركه إلا الحمق ثم استمرت على سجيته ووجدتني كما
قال بعض الحكماء في الناس من ينزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه الآخر وما
أراني إلا منهم ولما رأيتهما متعادية في الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن
رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فإن ذلك
من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موص
نفسى وإياك بالحدز منه هو الداء العظيم وهو السبب الداعي إلى الغرور
والإهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستعداد هجومه على القرب فإنه لو أخبر
صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلة أو يموت إلى إسبوع أو شهر لاستقام
واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه الله
تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لى تحقيقاً أن من
أصبح وهو يؤمل أنه يمسي أو أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور
والتسويق ولم يقدر إلا على سير ضعيف .

فأوصيك ونفسى بما أوصى به رسول الله ﷺ حيث قال : « صل صلاة
مودع » ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به ومن
غلب على ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله تعالى
وخشيته منه ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله وغفل قلبه عن
صلاته وسئمت نفسه فلا يزال في غفله دائماً وتور مستمر وتسويق متتابع إلى
أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن
يرزقني هذه الرتبة فإنى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى من نفسه إلا

بها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فإن خداعها لا يقف عليه إلا الأكياس وقليل ما هم والوصايا وإن كانت كثيرة والمذكورات وإن كانت كبيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأجمعها وقد قال الله عز وجل في محكم القرآن : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) .

فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها لنفسه ليجدها يوم مردها ومنقلبها وقال يزيد الرقاشي كان في بنى إسرائيل جبار من الجبابرة وكان في بعض الأيام جالساً على سرير مملكته فرأى رجلاً قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فاشتد خوفه من هجومه وهيئته وقدمه فوثب في وجهه وقال له : « من أنت أيها الرجل ومن أذن لك في الدخول إلى داري فقال أذن لى صاحب الدار وأنا الذى لا يحجبني حاجب ولا أحتاج فى دخولى على الملك إلى إذن ولا أرهب سياسة السلطان ولا يفرعنى جبار ولا لأحد من قبضتى فرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه (٢) ووقعت الرعدة فى جسده وقال : أنت ملك الموت قال : نعم قال أقسم عليك بالله إلا أمهلتنى يوماً واحداً لأتوب من ذنبى وأطلب العذر من ربى وأرد الأموال التى أودعتها خزانتي إلى أربابها ولا أتحمل مشقة عذابها ، فقال كيف أمهلك وأيام عمرك مجسوبة وأوقاتها مثبتة مكتوبة فقال أمهلنى ساعة ، فقال إن الساعات فى الحساب وقد عبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد ، فقال من يكون عندى إذا نقلتنى إلى لحدى فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال ما لى عمل ؟ فقال لا جرم يكون مقيلك فى النار ومصيرك إلى غضب الجبار » وقبض روحه ، فخر عن سريريه وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ولو علموا ما يصير إليه من سخط ربه لكان بكأؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر .

(١) سورة النساء آية ١٣١ .

(٢) أى أغشى عليه .

ذم طول الأمل

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وعن أبي كعب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : كان يهريق الماء فيتيمم بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول « ما يدرينى لعلى لا أبلغه » ، وعن أنس قال النبى ﷺ : « يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر » وقال رسول الله ﷺ : « مثل ابن آدم إلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم » . وروى أن الحسن قيل له أن فلانا مات بغته فقال ما يعجبكم من ذلك لو لم يميت بغته مرض بغته ثم مات . قال الغزالي رحمة الله عليه « عليك أن تجتنب طول أملك فإنه إذا طال هاج أربعة أشياء : الأول : ترك الطاعة والكسل فيها يقول سوف أفعل والأيام بين يدي .

والثانى : ترك التوبة وتسويفها يقول سوف أتوب وفى الأيام سعة وأنا شاب وسنى قليل والتوبة بين يدي وأنا قادر عليها متى رمتها وربما اغتاله الحمام على الإصرار واختطف الأجل قبل صلاح العمل . والثالث : الحرص على جمع الأموال والاشتغال بالدنيا عن الآخرة يقول أخاف الفقر فى الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولا بد لى من شىء فاضل أدخره لمرض أو هرم أو فقر هذا ونحوه يحرك إلى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول إيش آكل وإيش ألبس هذا الشتاء وهذا الصيف ومالى شىء ، ولعل العمر يطول فأحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد لى من قوت وغنية عن الناس وهذه

(١) سورة الحديد آية ١٦ ، يأن : يحزن ، تخشع : ترق وتلين .

وأمثالها تحرك إلى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها .
والرابع القسوة في القلب والنسيان للآخرة لأنك إذا أملت العيش الطويل لا
تذكر الموت والقبر » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه « أخوف ما أخاف عليكم اثنان :
طول الأمل واتباع الهوى ألا إن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصدك
عن الحق فإذا يصير فكرك في حديث الدنيا وأسباب العيش في صحبة الخلق
ونحوها فيقسو القلب فبسبب طول الأمل تقل الطاعة وتتأخر التوبة وتكثر
المعصية ويشتد الحرص ويقسو القلب وتعظم الغفلة فتذهب والعياذ بالله إن لم
يحرم الله فأى حال أسوأ من هذه وأى آفة أعظم من هذه ، وإنما رقة القلب
وصفوته بذكر الموت ومفاجأته والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة » .

ويروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيئا من أسباب الدنيا وقد حفروا
قبور موتاهم على باب دورهم في كل وقت يتعهدون تلك القبور وينظفونها
ويزورونها ويتعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام إلا الحشيش ونبات الارض ،
فبعث إليهم ذو القرنين رجلا يستدعي ملكهم فلم يجبه ، وقال ما لى إليه
حاجة فجاء ذو القرنين إليه وقال كيف حالكم فأنى لا أرى لكم شيئا من ذهب
ولا فضة ولا أرى عندكم شيئا من نعم الدنيا فقال نعم لأن الدنيا لا يشبع منها
أحد قط فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فبالنظر
إليها يتجدد ذكر الموت ويرد حب الدنيا في قلوبنا فلا نشغل بها عن عبادة ربنا
فقال كيف تأكلون الحشيش فقال لأننا نكره أن نجعل بطوننا مقابر للحيوان
ولأن لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ، ثم مد يده إلى طاقة فأخرج منها قحف رأس
آدمى فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين تعلم من كان هذا ، فقال : لا ، قال
: كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على
الضعفاء ويستفرغ زمانه في جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا
رأسه ثم مد يده ووضع قحفاً آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا ؟ فقال : لا ،
فقال : كان هذا ملكاً عادلاً مشفقاً على رعيته محباً لأهل مملكته فقبض الله
روحه واسكنه جنته ورفع درجته ، ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال

ترى أى هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذو القرنين بكاء شديداً وضمه إلى صدره وقال له إن أنت رغبت فى صحبتى فإننى أسلم إليك وزارتى وأقاسمك مملكتى فقال هيهات ما لى فى ذلك رغبة فقال لم قال لأن جميع الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أصدقائى بسبب القناعة والصعلكة^(١) والله در القائل :

دليلك أن الفقر خير من الغنى وأن قليل المال خير من المثرى^(٢)
لقاؤك عبداً قد عصى الله بالغنى ولم تلق عبداً قد عصى الله بالفقر

* * *

(١) الصعلكة : أى الفقر وقلة ذات اليد .

(٢) المثرى : أى الغنى ومصاحب الثراء الكثير .

قصر الأمل

اعلم أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الأكباب عليها غير متيسر إذا كان مملوءاً بشيء لا يكون لشيء آخر محل فيه ولأن الدنيا والآخرة كضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وكالمشرق والمغرب بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد من الآخر .

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل

النساء » ، وقال النبي ﷺ : « ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينة » ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » فقال رجل يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر فسكت النبي حتى ظننا أنه ينزل عليه قال فمسح عنه الرخصاء (٣) وقال « أين السائل » وكأنه حمده ، وقال « إنه لا يأتي الخير بالشر وأن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلا أكله الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضع في حقه فنعمة المعونة ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة » يعنى مثال كثرة المال كمثال ما

(١) سورة الإسراء آية ١٨ .

يصلها : يدخلها . مدحوراً : مطروداً مبعداً من رحمة الله .

(٢) سورة لقمان آية ٣٣ .

(٣) الرخصاء : أى العرق الكثير .

ينبت فى فصل الربيع فإن بعض النبات حلوة فى فم الدابة وهى حريصة على أكله لكن ربما تأكل كثيراً فيحصل بها داء من كثرة الأكل فتموت من ذلك الداء أو تقرب ، فإن لم تأكل الدابة إلا بقدر ما يطيقه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى ينهضم ماأكلت وحتى تبول وتروث روثاً وتحصل لها خفة من خروج الروث والبول منها فلا يضرها الأكل فكذلك من يحصل له مال كثير فإن الحرص على المال وتكثير الأكل والشرب والتجمل فيفسد قلبه وتتكبر نفسه ويرى نفسه أفضل من غيره ويحتقر الناس ويؤذيهم ولا يخرج حقوق المال من الزكاة وأداء الكفارات والنذور وإطعام السائلين والأضياف وحقوق الجار فمن كانت هذه صفته لا شك أن المال شر عليه ومن لا يحتقر الناس ولا يفتخر عليهم ولا يشتغل بجمع المال بحيث يفوت عنه طاعة ويحسن إلى الناس فماله خير له كما قال عليه السلام : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » فإذا عرفت هذا فقد عرفت أن الخير والشر لا يحصل للرجل من المال بل نفس الرجل التى هى تصرف المال فيما فيه خير له أو شر له ، قاله المظهرى وقال ﷺ : « لكل أمه فتنة وفتنة أمتى المال » وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول : ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك » . وحكى أن رابعة العدوية رضى الله عنها كانت تقول « لكل يوم ليلة وهذه ليلتى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح وتقول للنهار كذا فلا تنام حتى تمسى . وقال أبو بكر بن عياش (١) : ختمت القرآن فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة ، وصام ابن المعتز أربعين سنة وقام ليلها ، ولم يضع سليمان التيمى جنبه عشرين سنة . وصلى عبد القادر الجيلانى رحمة الله عليه الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ولزم الغزالي الانقطاع ووظائف أوقاته على وظائف الخير بحيث لا يمضى لحظة منها إلا فى طاعة من التلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث خصوصاً البخارى ، وإدامة الصيام والتهجد ومجالسة أهل القلوب إلى

(١) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفى المقرئ الحنات . قال ابن حجر : مشهور بكنيته والأصح أنها اسمه وقيل اسمه محمد أو عبد الله أو سالم وقيل غير ذلك ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح من الطبقة السابعة . توفي سنة ١٩٤ هـ . انظر تقريب التهذيب ٢ / ٣٩٩ ترجمة

ان أنتقل إلى رحمة الله تعالى ، ولم يضع النووى رحمة الله جنبه على الارض
نحو سنتين وكان لا يضيع له وقتاً فى ليل ولا نهار إلا فى وظيفة من الاشتغال
بالعلم حتى فى ذهابه فى الطريق ومجيئه يشتغل فى التكرار والمطالعة .

وحكايتهم فى المبادرة إلى الخيرات كثيرة يكفى من وفقه الله ما ذكرنا وكل
ذلك من نتيجة قصر الامل .

اعلم أن مما يعينك على ذكر الموت أن تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك
وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ، ويسعون سعيك
ويعملون فى الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم ، وقلعت أعراقهم وقصمت
أصلاهم ، وفجعت فيهم أحبابهم فأفردوا فى قبورهم موحشة وصاروا جيفاً
مدهشة والأحداق سالت والالوان حالت والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت ومالت
مع فتان يقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ، ثم يكشف لهم من الجنة والنار
مقعدهم إلى يوم يبعثون ، فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً مكورة
ونجوماً منكدة وملائكة منزلة وأهوالاً مدعرة وصحفاً منتشرة وناراً زفرة وجنة
مزخرفة فعد نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدى
كالبهائم ترتع ولا تدرى ﴿ ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ
يُسْجَرُونَ ﴿ (٢) .

يا بنى القصر الكبير	بين الدساكر ^(٣) والقصور
ومجرد الجيش الذى	ملاً البسيطة والصدور
ومدوخ الأرض التى	أعيت على مر الدهور
أما فرغت فلا تدع	بنيان قبرك فى القبور

(١) سورة الحجر آية ٣ .

(٢) سورة غافر آية ٧١ : ٧٢ .

(٣) جمع دسكر وهو بناء للأعاجم كالقصر حوله بيوت فيها الشراب والملاهى للملوك .

وانظر إليه تراه كيف
واذكر رقادك وسطه
قد بددت تلك الجيوش
واعترضت من بين الحريز
وتركست مرتهناً به
حيران تعلن بالآسى
ودعيت باسمك بعدما

إليك معترضاً يشير
تحت الجنادل^(١) والصخور
وغيرت تلك الامور
خشونة الحجر الكبير
لا مال معك ولا عشير
لهفان تدعو بالشبور
قد كنت تدعى بالأمير



(١) الجنادل جمع جندل وهو مكان فى مجرى النهر فيه حجارة يشتد عندها جريان النهر .

سكرات الموت

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١) .
وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (٢) .

روى البخارى فى صحيحة أن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن رسول الله ﷺ كان بين يديه علة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يديه فجعل يقول الى الرفيق الأعلى حتى قبض » وفى صحيحة : « لما ثقل ﷺ جعل يتغشاه الكرب فجعلت فاطمة رضى الله عنها تقول واكرب أبتاه فقال ﷺ لا كرب على أبك يعد اليوم » ويروى أن النبى ﷺ دخل على مريض فقال « إني لأعلم ما يلقي ما فيه عرق إلا وهو يألم بالموت على حديثه » . ويروى عن مكحول عن النبى ﷺ أنه قال : « لو أن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والارض لما توا بأذن الله تعالى » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين « هو كفصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقي » وكان علي رضى الله عنه يحض على القتال فى سبيل الله ويقول : « إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش » . وقال شداد بن أوس : الموت أقطع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمنشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم ، ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما مات قال الله عز وجل له « كيف وجدت الموت » قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال :

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(٢) سورة ق آية ١٩ .

«أما إنا قد هونا عليك» . وعن موسى صلوات الله عليه أنه لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له «يا موسى كيف وجدت الموت» قال : وجدت نفسى كشاة حية بيد القصاب تسليخ ..

وذكر أبو بكر بن أبى شيبة ^(١) فى مسنده عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «تحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج فإنهم كانت فيهم أعاجيب» ثم أنشأ يحدث قال «خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال : ففعلوا فبينما هم كذلك إذا أطلع رجل رأسه من قبر تلاشى بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إلي فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت وكأن عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول لوددت لو أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت فلما أنزل به الموت قيل له يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت يخبرنى عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه .

فقال : أجد كأن السماوات انطبقت على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسى تخرج على ثقب إبرة» .

ويروى ان إبراهيم الخليل قال لملك الموت هل تستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر ؟ قال أنطبق ذلك ؟ قال بلى فأعرض ثم التفت فإذا هو رجل أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكان ذلك حسبه .

وروى عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : إذا بقى على

(١) هو عبد الله بن محمد إبراهيم الحافظ الكوفى روى عن أبى الأحوص وابن المبارك وشريك وغيرهم عنه : البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم وثقه العجلى وأبو حاتم . توفي سنة ٢٣٥ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٦ / ٢ .

المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه عمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت
وشدته درجته في الجنة وإن الكافر إذا كان عمله معروفا في الدنيا هون عليه
الموت ليستكمل ثواب معروفة في الدنيا ثم يصير إلى النار .

وروى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال : « لو أن لي طلاع الأرض ذهباً
لأفتديت به من قبل أن أراه » . وقيل لم يلق ابن آدم أشد من الموت وما بعده
أشد منه .

وفي الوسيط للواحدى بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :
« الأمراض والأوجاع كلها يريد الموت ورسل الموت فإذا حان الأجل أتى ملك
الموت بنفسه فقال أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم يريد
بعد يريد أنا الخبر ليس بعدى خبر وأنا الرسول ليس بعدى رسول أجب ربك
طائعا أو مكرها فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى
من تبكون ؟ فوالله ما ظلمت له أجلا ولا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك
الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقى منكم أحدا » .
وعن أنس بن مالك قال : « لقي جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال يا ملك
الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوفاء ههنا عشرة الاف وههنا كذا
وكذا ؟ فقال ملك الموت تزوى لي الأرض حتى كأنهم بين فخذي فألتقطهم
بيدي » .

اعلم أنا لو انتظرنا ضربة شرطى لتكدر عيشتنا وفي نفس يمكن مجيء الموت
بشدائده وهو أمر من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ويود لو قدر على صياح
وأنين ويجذب روحه من كل عضو وعرق فتبرد قدماه ، ثم فخذاه وهكذا حتى
يبلغ الحلقوم فعنده ينقطع نظره إلى دنياه ويغلق عنه باب توبته فقد قال رسول
الله ﷺ : « إن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر » (١) .

يا فرقة الأحباب لا بد لي منك ويا دار دنيا إننى راحل عنك

(١) الغرغرة : وهي تردد الروح في الحلق عند الموت .

ويا قاصر الأيام مالى وللمنى
ويا سكرات الموت مالى وللضحك
فما لى لا أبكى لنفسى بعبرة^(٢)
ألا أى حى ليس بالموت موقناً
إذا كنت لا أبكى لنفسى فمن يبكى
وأى يقين أشبه اليوم بالشك

* * *

(١) عبدة : مفرد عبرات وهى الدموع .

عذاب القبر للكفار ولبعض عصاة المؤمنين

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ ﴾ (١)

وفي كتاب الترمذى كان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته فقليل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » . وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه » . وفي كتاب أبى داود والنسائى عن البراء بن عازب عن رسول الله ﷺ قال : يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك فيقول ربه الله فيقولان له ما دينك يقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٢) .

قال فينادى مناد من السماء أن صدق عندى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مد بصره . وأما الكافر فذكر موته قال ويعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

(٢) سورة إبراهيم آية ٢٧ .

اضلّاعه ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلاً لصار تراباً فيضربه بها ضربه يسمّعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين^(١) فيصير تراباً ثم يعاد فيه الروح .

وفى كتاب الترمذى عن بن سعيد الخدرى قال دخل رسول الله ﷺ لصلاة فرأى ناساً كأنهم يكثرون قال : أما إنكم لو أكثرتم ذكر هازم اللذات لشغلکم عما أرى فأكثرُوا. ذكر هازم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحباً واهلاً أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلي فإذا وليتك وصرت إلي فسترى صنعى بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب من الجنة .

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لأبغضن من يمشى على ظهرى إلي فإذا وليتك اليوم صرت إلي فسترى صنعى بك قال فليتئم عليه حتى يلتقى عليه وتختلف أضلّاعه . قال وقال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال ويقىض له سبعون تيناً لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفيض به إلى الحساب . قال وقال رسول الله ﷺ : « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وروى أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة فجعل يتعجب من تغير لونه واستحالة صفته فقال له عمر : يا ابن أخى وما يعجبك منى فكيف لو رأيتنى بعد دخول قبرى بثلاث وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد والدود من المناخر والفم وانتفخ البطن فعلا على الصدر وخرج الدبر من الصلب لرأيت إذ ذاك شيئاً أعجب مما رأيته الآن .

وكان بكر العابد يقول لأمه يا أمه ليتك كنت بى عقيماً إن لأبنك فى القبر حبساً طويلاً وإن له من بعد ذلك رحيلاً .

(١) المقصود بهم الإنس والجن .

وقال حاتم الأصم من مر بفناء القبور ولم يتفكر فى نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . قال القشيري سمعت أبا علي الدقاق يقول دخلت على الإمام أبي بكر بن فورك عائدا فلما رآنى دمعت عيناه فقلت له إن الله يعافيك ويشفيك فقال لى ترانى أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت .

وسمعت بعض الفقراء يقول إن سبب زهد داود بن نصر الطائي انه سمع نائحة تنوح : بأى خديك تبدى البلاء وأى عينيك إذا سالا واعجبا لو وصف طبيب لك داءك ودواءك لاستمعت إليه ولأطعته وهذا دواء دائك العظيم الدفين الذى يصلى صاحبه نار جهنم فلا تسمع إليه حق الاستماع وربما إن طال المجلس نعست أو تكلمت مع أنه ورد ذم المتكلم . ولو كنت فى لهو أو أمر دنيا لم تنعس بل ارتحت له وما ذاك إلا لخبت سريرتك وضعف إيمانك أين أبناؤك وأبناؤك وأين إخوانك وأحبائك سكنوا بطون الأرض وصاروا أكلاً للهوم ولا يقدرّون على دفع ما يلقون من العذاب :

هو الدهر فاصبروا ما على الدهر معتب وليس لنا من خطة الموت مهرب
ولا بد من كأس الحمام^(١) ضرورة ومن ذا الذى من كأسه ليس يشرب
وما يعمر الدنيا الدنية حازم إذا كان فيها عامر العمر يخرب
وإن علياً ذمها فى كلامه وطلقها^(٢) والجاهل الغر يخطب^(٣)
ولما أتى بالكوز والناس حضر فقال لهم يا للرجال تعجبوا
ألا إن هذا الكوز فيه مواعظ لمعتظ من ظلمة القبر يهرب
فكم فيه من ثغروعين كحيلة وخد أسيل كان يهوى ويطلب
وكم من عظيم القدر صارت عظامه إناء ومنه الماء يا قوم يشرب^(٤)

(١) الحمام : الموت .

(٢) هنا إشارة إلى قول على رضى الله عنه (أيتها الدنيا إليك عنى غرى غبرى فإننى قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها) .

(٣) أى أن الإنسان المغرور بالدنيا يطلبها ويسكن إليها

(٤) وهذا الكلام دليل على أن الإنسان لابد أن يعود إلى التراب قال تعالى ﴿ منها خلقناكم وفيها =

وينقل من أرض لأخرى هدية فواعجبا بعد البلا يتغرب
اللهم أصلحنا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد ولاية
أمرنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين .

* * *

= نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴿ .
وقال الشاعر :

وما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
وقال العقاد أيضا :
أسائل أمنا الأرضا سؤال الطفل للأم
فتخبرني بما أفضى إلى إدراكه علمي
جزاها الله من أم
إذا ما انجبت نأد تغزي الجسم بالجسم
وتأكل لحم ما تلد فقلت لها أين عظام النابهيين من الام
فقال قد صنعت لكم بها حلوى من الثمر

أحوال الموتى

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « مر النبي ﷺ بقبرين فقال : إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة فقال لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا » . ورؤى بعض الموتى فى المنام ف قيل له كيف كان حالك فقال صليت يوماً بلا وضوء فوكل على ذئب يروعنى فى قبرى فحالى معه فى أسوأ حال . ورؤى آخر فى النوم ف قيل له ما فعل الله بك فقال : دعنى فإنى لم أتمكن من الغسل يوماً من الجنابة فألبسنى الله ثوباً من النار أتقلب فيه ليلاً ونهاراً . ومرو عيسى بن مريم عليه السلام بمقبرة فنادى رجلاً منهم فأحياء الله فقال من أنت فقال كنت جماً لا أنقل الناس فنقلت يوماً لإنسان خطباً وكسرت منه خللاً وتخللت به فأنا مطالب به منذ مت . ورؤى سفيان الثورى ^(١) فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة إلى شجرة ف قيل له بهم نلت هذا فقال بالورع . ووقف حسان بن أبى سنان على أصحاب الحسن فقال أى شىء أشد عليكم فقالوا الورع فقال ولا شىء أخف على منه فقالوا فكيف ؟ فقال لم أرو من نهركم أربعين سنة . وكان حسان بن أبى سنان لا ينام نومة ولا يأكل سمياً ولا يشرب بارداً ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات ف قيل له ما فعل الله بك خيراً إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها . وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين ويعبد ربه أربعين سنة وكان فى ابتداء الأمر كيالاً فلما مات رؤى فى المنام ف قيل له ما فعل الله بك خيراً غير أنى محبوس عن الجنة وقد خرج على من غبار القفيز أربعون قفيزاً .

ويروى أن رجلاً جاء إلى القبور فصلى ركعتين ثم اضطلع على شقه فنام

(١) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد الثورى أبو عبد الله من أتباع التابعين بالكوفة وكان من الحفاظ المتقنين والفقهاء فى الدين ممن لزم الحديث والفقه . واطب على العبادة والورع حتى صار علماً يرجع إليه فى الأمصار وملجأ يقتدى به . توفى بالبصرة ١٦١ هـ انظر المشاهير / ١٧٠ .

فرأى صاحب القبر فى المنام فقال هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نسمل ولأن تكون ركعتاك فى صحيفتى أحب إلى من الدنيا وما فيها . وقال بعض الصالحين مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم فقلت له يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لى لأن أقدر أن أقولها يعنى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلاناً جاء فصلى ركعتين لأن أقدر أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها . وذكر أبو سبرة أن منكراً ونكيراً أتيا رجلاً إلى قبره وقالوا إنا ضاربوك مائة ضربة فقال الميت إبنى كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله الصالحة حتى حطا عنه عشرأ ولم يزل يتشفع حتى حطا الجميع إلا ضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه ناراً فقال لم ضربتمانى فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه . وقال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته إنا كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر فى المنام فرأيته فى المنام بعد اثنتى عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو متلفع بإزار فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك وبأى حسناتك جازاك فقال يا عبد الله كم لى منذ فارقتكم فقلت اثنتى عشرة سنة فقال منذ فارقتكم كنت فى الحساب وخفت أن أهلك إلا أن الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر ولم يكن له فى دنياه شىء من أسباب الولاية سوى ذرة

وروى أنه زنى أبو شحمة ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجلده مائة جلدة فمات فلما كان بعد أربعين يوماً قال حذيفة بن اليمان رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وإذا الفتى معه وعليه حلطان خضراوان وقال رسول الله ﷺ أقرئ عمر منى السلام وقل له هكذا آمرك أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام يا حذيفة أقرئ أبى منى السلام وقل له طهرك الله كما طهرنى والسلام .

وروى عن أبى بكر بن أبى الدنيا بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته ما سبب توبتك ورجوعك إلى الله قال نبشت إنساً فوجدته قد سمر بمسامير فى جميع جسده ومسمار كبير فى رأسه وآخر فى رجله وقال الآخر ما سبب توبتك قال رأيت جمجمة إنسان قد صب فيها الرصاص .

ويروى أن بعض النباشين ^(١) نبش ذات ليلة قبراً فلما كشف عن الميت إذا بنار تحرق الميت فأهوت إليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله تعالى وقيل رأى الأوزاعي ^(٢) في المنام فقال ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم المحزونين . ورؤى أبو عبد الله النداد في المنام فقليل له ما فعل الله بك فقال أوقفني وغفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا إلا واحداً استحيت أن أقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقليل له وما ذاك فقال نظرت إلى شخص جميل فاستحييت أن أذكره .

وروى عن هاشم بن حسان أنه قال مات لي ابن حدث فرأيت في النوم فإذا شيب في رأسه فقلت يا بني ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحد منا إلا شاب . وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤى في المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض وقيل ما هذا ؟ فقالوا إن أهل القبور كسوا لباساً جديداً لقدوم كرز عليهم .

وروى أن بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد فلم أراه في المنام إلى ليلة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذ تراءى لي تلك الليلة فقلت يا بني ألم تك ميتاً فقال لا ولكني استشهدت وأنا حي عند الله تعالى أرزق فقلت ما جاء بك فقال نودي في أهل السموات أن لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئكم لأسلم عليكم .

وروى عن عبد الواحد بن عبد المجيد الثقفي قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة رجال وامرأة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابني قلت أو لم يكن لك جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت وإيش كان هذا فقالت هو مخنث قال فرحمتها

(١) النباشين : الذين ينشون قبور الموتى بعد دفنهم للاستيلاء على أكفانهم .

(٢) الأوزاعي : هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو أحد أئمة الدين فقها وعلماء وورعاً وحفظاً وفضلاً وعبادة وضبطاً من اتباع التابعين . توفي ببيروت مرابطاً سنة ١٥٧ هـ .
انظر المشاهير / ١٨٠ .

وذهبت بها إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً ونمت تلك الليلة فرأيت
كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرنى فقلت من
أنت فقال أنا المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى
تزود لنفسك يأخى بالتقوى ومن عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ومن تفكر
فى رحيل من كان لديه صار النهوض مستيقناً عليه كم مغرور بشبابه وصحة
حاله اختطفه الموت من خلاله كم من مائل إلى جمع ماله ترك تركة ومر
بأثقاله هل رحم الموت مريضاً لضعف أوصاله هل ترك محاسباً لأجل أطفاله :

لقد أخبرتك الحادثات نزولها ونادتك ألا إن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للأحبة إن مضوا ونفسك لا تبكى وأنت على الأثر
اللهم ارحمنا ولا تعذبنا وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تمرضنا وأكرمنا ولا
تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا إنك على كل شىء قدير .

* * *

أشراط الساعة وأحوالها

قال الله تعالى :

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ (١)

وروى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : « إن أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنى ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم » .

وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا اتخذ الفیء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا وتعلم لغير دين الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيافات والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع » .

وعن أبى سعيد الخدری رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتى وأهل بيتى فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء (٢) وساكن الأرض لاتدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبغه مدراراً ولاتدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياء الموت ، يعيش فى ذلك سبع سنين أو ثمانى سنين أو تسع سنين .

وفى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال أطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال « ما تذكرون » قالوا نذكر الساعة قال « إنها لن تقوم حتى

(١) سورة الأنبياء آية ١ : ٣ .

محدث أى منزلاً بالوحى .

(٢) أى السماء وما فيها من ملائكة وغيرها إن كان هناك سكان آخرون .

تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .»

وفي صحيح مسلم قال : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض .»

واختلف في أول الآيات فقليل أولها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وجاء من رواية ابن أبي شيبه ^(١) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها .»

ودابة الأرض طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر وقيل مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات تتصدع بجبل الصفا فتخرج من ليلة جمع والناس نزول إلى منى وقيل تخرج من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا فينكت في وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم فينكت في وجهه كافر .

وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال وذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال « إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه وإن يخرج ولست فيكم فالمرؤ حجيجه نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جوازكم من فتنته أنه خارج خلة بين الشام والعراق فعات يميناً وعات شمالاً يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يارسول الله وما لبثه في الأرض قال « أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيناه فيه الصلاة يوم قال « لا أقدرؤ له قدره » قلنا يارسول الله وما

(١) ابن أبي شيبه : هو عثمان بن أبي شيبه بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن الكوفي صاحب المسند والتفسير روى عن هشيم وحמיד وعبد الرحمن الرواسي وغيرهم وعنه الجماعة سوى الترمذى والنسائي ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٣٩ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥٩ .

إسراعه فى الأرض قال « كالغيث استدبرته الريح فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كنت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمدّه خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس اقوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتلاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل وتهلّل وجهه يضحك فيبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذ طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه خدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر ربح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيس قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم فى الجنة بدرجاتهم فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم فأحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسIRON حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون قد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله إليهم نشابهم مخضوبة خضوبة دماً ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم - وروى زهمهم بضم الزاى وفتح الهاء وموضع زهمة وهى الريح المنتنة - ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فطرحهم حيث شاء الله - ويروى تطرحهم بالسهيّل - ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعباتهم سبع سنين ثم يرسل الله مطاً لا يكن

منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض
 انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة منت الرمانة ويستظلون
 بقحفها ويبارك فى الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس
 واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من
 الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح
 كل مؤمن وتبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير فعليهم تقوم الساعة
 وأنشد بعضهم :

مثل لقلبك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمور ^(١)
قد كورت شمس النهار ^(٢) وأضعفت	حراً على رأس العباد تفور ^(٣)
وإذا الجبال تقلعت بأصولها	فرأيتهما مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت ^(٤) عن أهلها	خلت الديار فما بها مغرور
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وبدلت بعد الضياء كدور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت	وتفسول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحاً	وعجائباً قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمه متعلق	خوف الحساب وقلبه مدعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله	كيف المقيم على الذنوب دهور



(١) تحركت واضطربت .

(٢) كورت الشمس : أزيل ضياؤها أو لفت وطويت .

(٣) أى المشتدة حرارتها .

(٤) النوق الحوامل أهملت بلا راع .

النفخ في الصور

قال الله تعالى :

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ (٦٩) وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) » (١).

وفي كتاب النسائي^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
« كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بسمعه وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ » . قالوا يارسول الله وكيف نقول قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ

(١) سورة الزمر الآيات ٦٨ : ٧٥ . الصور : القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل . فصعق : مات وهي النفخة الأولى . زمرًا : جماعات متفرقة ومتتابعة . حقت : وجبت وثبتت . طبتم : طهرتم من دنس المعاصي . نتبوا : نزل . حافين : محققين ومحيطين .

(٢) النسائي : هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي ولد بنسأ سنة ٢١٤ هـ صاحب السنن الكبرى . توفي بفلسطين سنة ٣٠٣ هـ سمه من خلائق لا يحصون وكان إماما في الحديث ثقة ثباتاً حافظاً . انظر تهذيب التهذيب ١ / ٣٧ .

يقول : ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً . قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » . وفي كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم » . قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال : « إن الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك » .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ .

قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا »

وفيه قال ﷺ : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » .

وفيه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء صفراء كقرصة النقى قال سهل أو غيره وليس فيها معلم لأحد وصح أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الميت فى ثيابه التى مات فيها » قيل المراد بالثياب العمل وحمله أبو سعيد الخدرى على ظاهره .

وفى صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل » . قال سليم بن عامر فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى يكتحل به العين قال : « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق إلجاماً وأشار بيده ﷺ إلى فيه » .

وفى مسند أبى بكر البزار عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ إن

العرق يلزم المرء فى الموقف حتى يقول يارب إرسالك بى إلى النار أهون على
مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب .

وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة
لأحرقت الأرض وأذابت الصخر ونشفت الأنهار .

وقال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله
إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه
حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله
تعالى خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني
أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

قال الحسن البصرى رحمه الله فما ظنكم بيوم قاموا فيه على أقدامهم
مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا شربة حتى انقطعت
أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً ثم انصرف بهم إلى النار فسقوا من
عين آنية أى متناهية فى الحرارة أوقدت عليها جهنم منذ خلقها .

* * *

شفاعة النبي ﷺ

قال الله تعالى :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (١)

وفي صحيح البخارى ومسلم (٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه أتى النبي ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنون الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم : فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله ولن يغضب بعده وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون أنت أول الرسل إلى الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك أما ترى مانحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) مسلم : هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسن ثقة حافظ ، إمام مصنف ، عالم الفقه ، صاحب الصحيح . توفي سنة ٢٦١ هـ . انظر تقريب التهذيب ٢ / ٢٤٥ .

فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى إذهبوا إلى غيرى إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه فيقول عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً فيأتون محمداً ﷺ .

وفى رواية «فيأتوننى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فانطلق وآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله على من محامده حسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب أمتى يارب أمتى يارب فيقول :يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال : والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » .

وفى الصحيحين « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون » .

وفى رواية فى صحيح مسلم سبعون ألفاً مع كل واحد منهم سبعون ألفاً قال فى المفاتيح :التوكل نوعان خاص وهو أن يترك التداوى والاسترقاء والكى لغاية ثقته بأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من النفع والضرر وهو المراد هنا . وعام يجب على الكل وهو أن يعلم أن لا مؤثر إلا الله فالطعام لا يشبع والأدوية لا تشفى إلا بأمره ، ومن له هذا الاعتقاد جاز له التداوى والاسترقاء . وكسب المال بالتجارة والحرف .



الحساب

قال الله تعالى :

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ (٢)

وفى صحيح مسلم عن شقيق بن عبد الله قال النبى ﷺ : « يؤتى بجنهم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يعجزونها » .

وفى صحيح البخارى « يجاء بنوح يوم القيامة فيقال هل بلغت فيقول له نعم يارب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله ﷺ فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال :

عدولاً ، ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٣) .

وقال مقاتل فى قوله تعالى : ﴿ وَامْتَاَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٤) أى اعتزلوا اليوم يعنى فى الآخرة من الصالحين وقال السدى كونوا على حدة .

وفى الصحيحين قال رسول الله ﷺ : « يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول لبيك وسعديك والخير بين يديك وما بعث النار ؟ فيقول من كل ألف

(١) سورة الشعراء آيات ٩٠ : ٩٥ . أزلفت الجنة : قربت بحيث يرى نعيمها . برزت الجحيم : أظهرت بحيث ترى أهوالها . الغاوين : الضالين . فككبوا : فالتقى الأصنام على وجوههم مراراً

(٢) سورة الأعراف آية ٦ : ٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٤) سورة يس آية ٥٩ .

تسعمائة وتسعة وتسعين قال فحينئذ يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد « فاشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال رسول الله ﷺ « تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد » فقال الناس الله أكبر فقال رسول الله ﷺ « والله لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة والله إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة والله إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبر الناس فقال رسول الله ﷺ « ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض » .

في صحيح مسلم قال ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاه الجلهاء من الشاهة القرنا » قال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كن تراباً فسوي بهن الأرض فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان تراباً لما قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ۝ ﴾ (١) .

وفي كتاب الترمذى وغيره عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه » . وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال « أتدرون مم أضحك ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال « من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى فيقول إنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الشاهدين عليك شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل » .

وفي الصحيحين عن عدى بن حاتم قال . قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين ربه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى

(١) سورة النبأ آية ٤٠ .

إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من حوسب يوم القيامة عذب » فقلت أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (١) قال « ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » .

فتفكر رحمتك الله سؤال ربك لك بغير واسطة على كل قليل وكثير ونقيير وقطمير وقول الملائكة يا فلان هلم إلى الموقف وقد روى عنه عليه السلام : إن لله ملكاً ما بين شقرتي عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض فترتعد فرائضك وتضطرب جوارحك وتتمنى حملك إلى جهنم ولا تعرض قبائحك على ربك تعالى فتوهم نفسك في أيدي الموكلين بك حتى انتهوا بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن منى فدنوت بقلب خائف محزون وجل وطرف خاشع ذليل وأعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فليت شعرى بأى قدم تقف بين يدي الله وبأى لسان تتجيب وبأى قلب تعقل ما تقول وماذا تقول إذا قال : أما استحييت منى ظننت أنى لا أراك .

وعن الفضيل : إني لا أغبط أن أكون ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاقبون فى القيامة إنما أغبط من لم يخلق .

وأنشد بعضهم :

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا	مستعطفاً قلق الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق	على العصاة وتلقى الرب غضباناً
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل	وانظر إليه تسرى هل كان ما كانا

(١) سورة الإنشاق آية ٨ .

لما قرأت كتاباً لا يغادر لى حرفاً وما كان فى السر وإعلاناً
قال الجليل خذوه يا ملائكتى مروا بعبدى إلى النيران عطشاناً
يارب لا تخزننا يوم الحساب ولا تجعل لنارك فينا اليوم سلطاناً

* * *

فصل : في الميزان

قال الله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَ الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١ ﴾ (١).

وذكر أبو بكر البزار رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وإن خفت ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً » .

وفى سنن أبي داود عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال ﷺ « ما يبكيك ؟ » قالت ذكرت النار فبكت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال ﷺ « أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر فيها أحد أحداً عن الميزان حتى يعلم أيخفف ميزانه أم يثقل وعند الكتاب حين يقال هائم أقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهرائى جهنم » . وفى الوسيط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليعتذرن الله الى آدم ثلاث معاذير يقول الله يا آدم لولا أنى لعنت الكذابين وأبغضت الكذاب والخلف وأوعدت لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول منى لئن كذبت رسلى وعصى أمرى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين . ويقول الله عز وجل : يا آدم اعلم أنى لا أدخل من ذريتك النار أحداً ولا أعذب منهم بالنار أحداً إلا من قد علمت بعلمى أنى لو رددته إلى الدنيا لعاد الى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب . ويقول عز وجل : « قد جعلتك حكماً بينى وبين ذريتك

(١) سورة القارعة آية ١ : ١١ . القارعة : القيامة تفرع القلوب بأهوالها . كالفراس : طير كالبعوض ينهات على النار . المبثوث : المتفرق المتشتر . كالعهن : كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة . المنفوش : المفرق . فأمة هاءية : مأواه جهنم يهوى فيها .

قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجع منهم خيره على شره
 مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أنى لا أدخل منهم النار إلا ضالماً . وفى
 الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « أتدرون من المفلس »
 قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال « إن المفلس من أمتى من يأتى
 يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا
 وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت
 حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى
 النار . »

وفى الصحيح « إن أول ما يقضى فى الدماء . »

وفى معالم التنزيل روى عن عبد الله بن مسعود قال : إذا كان يوم القيامة
 جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء
 إلى حقه فليأخذها فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو
 أخيه فيأخذ منه وإن كان صغيراً ومصدق ذلك فى كتاب الله عز وجل :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ
 مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) . ﴾

ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان ابن فلان
 من كان له عليه حق فليأت إلى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يارب
 من أين وقد ذهب الدنيا فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا فى أعماله
 الصالحة فأعطوهم منها فإن بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا بقى
 له مثقال ذرة من حسنة فيقول الله عز وجل ضعفوها لعبدى وأدخلوه بفضل
 رحمتى الجنة ومصدق ذلك فى كتاب الله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا (٢) ﴾

(١) سورة المؤمنون آيات ١٠١ : ١٠٣ .

(٢) سورة النساء ، آية ٤٠ .

وإن كان عبداً شقيماً قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله عز وجل خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكاً إلى النار.

وذكر الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله أنتكر من هذا شيئاً ، أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول لا يارب فيقول الله أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا آله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال : أنك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال فلا يثقل مع اسم الله تعالى شيء : أى من كان معه ذكر الله فلا يقاومه شيء يترجح من المعاصى بل يترجح الذكر على المعاصى .

فتفكر رحمك الله فى ميزانك واحترز من خسرانك واعلم أن من لاسيئة له فله الجنة ومن لا حسنة له فله النار ومن خلط فالعدل بالميزان فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمعقرة إليه أسرع .

قيل إذا تعلق المظلوم بالظالم الأبواب وهو الذى أقلع عن الذنب فلم يعد إليه ولم يتمكن من الاستحلال قال الله للمظلوم ارفع رأسك فيرفع رأسه فإذا بقصر عظيم يلوح فيقول : ماهذا يارب ؟ فيقول : إنه للبيع فاشتره منى فيقول مامعنى ثمنه فيقول : أن تبرىء مظلمة أخيك فالقصر لك فيقول قد فعلت يارب .

وحكى أنه لما حضرت لقمان الحكيم الوفاة بكى فقال له ابنه ما يبكيك ياأبت ؟ فقال يابنى لست أبكى على الدنيا ولا على نعيمها ولكن على ما أمامى من الشقة البعيدة والمفازة السحيقة والعقبة الكئود والزاد القليل والحمل الثقيل ولا أدرى أيحط عنى ذلك الحمل حتى أبلغ الغاية أم أثقل حتى أساق إلى النار

فلهذا أبكى ومات رحمه الله .

وأنشد بعضهم :

أرأني إذا حدثت نفسي بتوبة
تقضت حياتي في اشتغال وغفلة
طردت (٣) وغيرى بالصلاح مقرر
وكيف وزلات المسيء (٤) كثيرة
إلى الله أشكو قلب سوء قد احتوى
ولى حزن يزداد فى كل لحظة
فإن تغفر الذنب الذى قد أتته
علامة مايولى من الفضل إن أنا
هنالك يبدو كل سر معظم

تعرض (١) لى من دون ذلك عائق (٢)
وأعمال سوء كلها لا توافق
ودون بلوغى مسلك متضايق
أيقرب عبد عن مواليه أبى (٥)
عليه الهوى واستأصلته العلائق (٦)
ودمع جفونى للبكاء يسابق
فذاك رجائى والظنون توافق
هجرت الدنيا (٧) أو قلت إنك طالق
لعينى وتغشائى هناك الحقائق



(١) أى ظهر لى ليمتنى .

(٢) مانع .

(٣) أى خرجت من الدنيا وأنا بعيد عن رحمة الله .

(٤) أى أخطاء المذنب كثيرة .

(٥) أبى العبد أى هرب .

(٦) أى قد سيطرت عليه الشهوات والغفلات واسطلمته السيئات وقطعته الذنوب .

(٧) مفردها دنيا وهى الحياة الدنيا .

المرور على الصراط والحوض

قال الله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾^(١).

واختلف في ورودها فقليل هو الدخول فيها وهي خادمة فعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم وقيل هو الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها وصححه النووي رحمه الله .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أو حذيفة^(٢) بعد ما ذكرت حديث الشفاعة التي لجأ الناس اليه ﷺ فيها وهو الإراحة من الموقف والفصل بين العباد قال فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبى الصراط يمناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وأشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبىكم ﷺ قائم على الصراط يقول رب سلم رب سلم حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال : وفي حافظتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت فمخدوش ناج ومكدوس فى النار والذي نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً .

قال فى إكمال العلم تفسير الحديث الآخر : « إن الصخرة العظيمة لتلقى فى شفير جهنم فتتهوى فيها سبعين عاماً حتى تفضى إلى قرارها » .

وفى صحيح البخارى قال : رسول الله ﷺ « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت

(١) سورة مريم آيات ٦٨ - ٧٢ .

(٢) هو حذيفة بن اليمان العيسى أبو عبد الله من المهاجرين شهد المشاهد وأمين سر رسول الله ﷺ فى المنافقين . توفى بعد قتل عثمان بن عفان بأربعين ليلة . انظر المشاهير / ٤٣ .

بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهذى لمنزلة فى الجنة منه لمنزلة كان فى الدنيا .

وفى رسالة القشيري قال معاذ بن جبل : إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته ، حتى يخلف جسر جهنم .

وكان أبو ميسرة رضى الله عنه ، إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمتى لم تلدنى ، ثم يبكى ، فقيل مايبكيك ؟ فقال : أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها .

وبكى عبد الله بن رواحة وقال : آية أنزلت ينبئنى فيها ربى ، إنى وارد النار ، ولم ينبئنى أنى صادر عنها ، فذلك الذى أبكاني .

وقال الحسن : كيف لا يحزن المؤمن وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم ولم ينبئه بأنه صادر عنها .

وفى صحيح مسلم عن أنس قال : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا ، إذا إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً ، فقيل : ماأضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت على أنفأ سورة يقرأ فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ ﴾ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ۝ (١) .

ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ » فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول ربى إنه من أمتى فيقول : ماتدرى ما أحدث بعدك . »

وقوله يختلج بلفظ المجهول أى يعدل به عن الحوض ، وهو إما المرتد وإما العاصى .

وفى كتاب الترمذى عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

(١) سورة الكوثر بأكملها .

لكل نبي حوضاً وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة وأنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة » .

وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال : قال النبي ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظماً أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ، ثم يحال بينى وبينهم » .

وزاد أبو سعيد الخدرى فقال : فأقول إنهم منى فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدى » .

[قوله لم يظماً] أى لم يعطش وفيه أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، وفيه أن الواردين المارين عليه كلهم يشربون ، وإنما يمنع الذين يزدون عن الورود والمرور عليه ، وسحقاً: أى بعداً ، وهذا مشعر بأنهم مرتدون عن الدين ، لأنه يشفع للعصاة ، ويهتم بأمرهم ، ولا يقول لهم مثل ذلك .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بينما أنا قائم عند الحوض ، إذ زمرة حتى إذا عرفتهم ، خرج رجل من بينى وبينهم ، فقال هلم فقلت : إلى أين ؟ قال إلى النار والله قلت : ما شأنهم ، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة إذا عرفتهم ، خرج رجل من بينى وبينهم ، فقال هلم فقلت إلى أين قال : إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم ، قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص فيهم إلا مثل حمل النعم » .

قال الكرماني فى الكواكب الدرارى والهمل بفتححتين ما يترك مهملاً لا يتعهد ولا يرعى ، حتى يضيع ويهلك ، أى لا يخلص منهم من النار ، إلا قليل وهذا مشعر بأنهم صنفان كفار وعصاة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ووددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال بل أنتم

أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » . قالوا : وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : « فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليزدادن رجال عن حوضي ، كما يزداد البعير الضال أناديها ألا هلم ، فيقال إنهم قد بلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً » .

وفي كتاب الترمذي عن ثوبان عن النبي ﷺ « حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ، ماءه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وآيته عدد نجوم السماء ، من شرب شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السدد » فقال عمر بن عبد العزيز لكنني نكحت متنعمات ، وفتحت لي السدد نكحت فاطمة بنت عبد الملك ، لا جرم أن لا أغسل رأسي ، حتى يتشعث ، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ .

وفي صحيح البخاري كان ابن مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا ، واعلم أن الحوض بيد النبي ﷺ ، على باب الجنة ، يسقى منه المؤمنون ، وهو مخلوق اليوم ، فتب يا أخى إلى ربك واتقه ليخرجك من همك ، واسأله أن يقيك من فتنة تقع في دينك ، فتداد عن حوض نبيك قيل إن الله ستر ثلاثاً في ثلاث ، ستر رضاه في طاعته فلا يحقرن أحدكم من الطاعة شيئاً قرب محتقر من الطاعة فيه رضا الله ، وستر غضبه في معصيته فلا يحقرن أحدكم شيئاً من المعصية ، قرب محتقر من المعصية فيه غضب الله ، وستر وليه في خلقه فلا يحقرن أحدكم أحداً من خلق الله ، قرب من لا يؤبه له وهو ولي الله ، وستر أيضاً

رابعاً : وهو الاجابة في الدعاء ، فلا يحقرن أحدكم شيئاً من الدعاء ، على أى حال كان ، وفي موطن كان .

قف على الباب طالباً وذو الدمع ساكباً

وتوسل إليه وار	جمع عن الذنب تاباً
تلق من حسن صنعه	عند ذاك العجائب
لا تخف أن ترد عن	كرم الله خائباً
فهو يجزى على اليس	ير ويعطى الرغائب
شرف المرء بالتقى	فاجعل الصدق صاحباً
واحتشم أن يراك رب	ك للذنب راكباً
إن للدهر أسهما	للرزايـا صواباً
وخطوباً تتابعت	فأثارت نواباً
فارض بالله واعتصم	واسأل الله راغباً

* * *

الشفاعة الكبرى

قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ (١) .

ذكر أبو بكر البزار عن النبي ﷺ قال : « يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتدافع بهم جنبوا الصراط تدافع الفراش في النار ثم يؤذن للملائكة والنبیین والشهداء والصالحين فيشفعون ويخرجون من في النار » .

وروى في الصحيح : « إن أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء » وفي كتاب الترمذي قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بنى تميم » . قيل : يا رسول الله سواك ، قال : « سواي » وفي مسند البزار : قال : رسول الله ﷺ : « إن أمتي من يشفع للفئام من الناس ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للرجل وأهل بيته » .

وروى الدارقطني عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل أنا لشرار أمتي » . قالوا كيف لخيارها ، قال : « أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم ، وأما شرار أمتي ، فيدخلون الجنة بشفاعتي » .

وروى عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني آت من عند الله فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا ويشرك بالله شيئاً » .

وفي الوسيط للواحدى عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقى فيها فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » .

(١) سورة طه آية ١٠٩ .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : إن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال هل : « تضارون الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب ، وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب » . قالوا : لا يا رسول الله . قال « ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير^(١) أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير بن الله فيقال : كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ، فيتساقطون فى النار ، ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ، فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها ، قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ، فيقولون : نعم . فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد اتقاء رياء ، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة ، فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يضرب الجسر على جهنم وتخل الشفاعة ، يقولون اللهم سلم سلم ، قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض

(١) غير : أى بقايا .

سزله فيه خطاطيف ، وكلايب وحسك^(١) تكون بنجد فيه شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرفة العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاريد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدوش^(٢) مرسل ومكدوس^(٣) في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما منكم من أحد منكم بأشد مناشدة لله استسقاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول : إرجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول : إرجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال^(٤) من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً ، فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً فيلقىهم فى نهر فى أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال : فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه .

* * *

(١) الحسك : أحد أنواع الشوك .

(٢) أى مصاب ومقطوع .

(٣) مكدوس : أى مكبوب وساقط فيها .

(٤) مثقال : أى جزء من الذرة وهى أصغر وحدة فى الميزان .

أعلم أن الشفاعات خمس :

أولهما : الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب وهى مختصة بمحمد ﷺ (١) .

والثانية : فى إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وهى أيضاً وردت له ﷺ (٢) .

والثالثة : قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله له يشفع له (٣) .

والرابعة : فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها .

والخامسة : فيمن دخل النار من المذنبين فيشفع فيهم نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين ، ثم يخرج الله كل من قال لا آله إلا الله من غير شفاعة شافع حتى لا يبقى فيها إلا الكافرون كما فى حديث عن أنس :

« ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول يا رب إئذن لى فيمن قال لا اله إلا الله ، قال ليس ذلك إليك لكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبروتى ، لأخرجن من قال لا اله إلا الله » (٤) أى أتفضل بإخراجهم دون شفاعة شافع فهو لاء هم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم وإنما دلت الآثار أنه أذن لمن عنده شىء زائد على الإيمان من عمل صالح أو ذكر خفى ، أو عمل من أعمال القلب ، من شفقة على مسكين وخوف من الله ونية صادقة فى عمل فاته ، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين دليل عليه ، وتفرد الله بعلم

(١) وقد ورد ذلك فى حديث صحيح وبين فيه توارد الأمم على الأنبياء واحالتهم لمحمد ﷺ لانه صاحب هذه المكانة .

(٢) ورد ذلك أيضاً عندما وصف ﷺ هؤلاء السبعين ألفا بأنهم لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون وبشر بها ﷺ عكاشة بن محصن .

(٣) ورد ذلك عن رسول الله ﷺ حينما قال « قولوا كما يقول المؤذن ثم صلوا على واسألوا لى الوسيلة فإنها درجة فى الجنة لا تنبى إلا لعبد وأرجو أن يكون أنا فمن سألها لى أحلت له شفاعتى يوم القيامة » .

(٤) حديث صحيح .

ما تكنه القلوب ، والرحمة لمن ليس عنده سوى الإيمان لأن مجرد الإيمان الذى هو التصديق لا يتجزأ ، فعليك يا أخى بالإيمان ، بأن تعتقد بقلبك دين الإسلام وتنطق مع ذلك بالشهادتين ، فإن اقتصرت على أحدهما خلدت فى نار جهنم التى وقودها الناس والحجارة ، ولا تنفك شفاعت شافع ثم عليك أن تحتزز من المعاصى ، فإن المعاصى بريد الكفر .

فقد حكى أن تلميذاً للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه ، وقرأ سورة يس . فقال يا أستاذ لا تقرأ هذه السورة فسكت ثم لقنه ، فقال قل لا إله إلا الله ، فقال لا أقولها لأنى برىء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل ييكى أربعين يوماً لم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب به إلى جهنم . فقال : بأى شئ نزع الله المعرفة^(١) عنك وكنت أعلم تلامذتى ؟ فقال بثلاثة أشياء :

أولهما : بالنميمة ، فإنى قلت لأصحابى بخلاف ما قلت لك .

وثانيها : بالحسد ، حسدت أصحابى .

وثالثها : كان بى علة فجاء إلى طبيب فسألته عنها فقال : اشرب فى كل سنة قدحاً من خمر^(٢) فإن لم تفعل تبقى بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من السخط الذى لا طاقة لنا به .

قال بعضهم :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
اللهم ارحمنا ولا تعذبنا ، ووفقنا ولا تخذلنا ، ولا تسلب منا الإيمان عند خواتيمنا ، فإنه لا ملجأ لنا إلا إليك ، ولا معول لنا إلا عليك يا أرحم الراحمين .

(٢) أى معرفة التوحيد والاخلاص لله تبارك وتعالى .

(٣) وكل هذه الأشياء فيها نهى صريح من الله تبارك وتعالى قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ وقال ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ فالخمر أم الخبائث .

عذاب الكافرين في جهنم

قال الله تعالى :

﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ (١) .

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (٢) .

﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٣) ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرَّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٤١) ﴾ .

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْلِمِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٥٠) ﴾ .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يَصْرُون عَلَى الْحَنَثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ

(١) سورة الحج الآيات ١٩ : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠٤ .

(٣) سورة غافر آية ٧١ - ٧٢ .

(٤) سورة فاطر آية ٣٦ - ٣٧ .

(٥) سورة الدخان آية ٤٣ - ٤٩ .

وقوله : المهمل : دردى الزيت أو الرصاص المغلى . اعتلوه : أى جروه بعنف وقهر وغضب .

التي مسقت يوم معلوم (٥١) ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لا تكون من شجر من زقوم (٥٢) فمالتون منها البطون (٥٣) فشاربون عليه من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم الدين (٥٦) نحن خلقناكم فلولا تصدقون (٥٧) ﴿١﴾ خذوه فغلوه (٣٠) ثم الجحيم صلوه (٣١) ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلکوه (٣٢) إنه كان لا يؤمن بالله العظيم (٣٣) ولا يحض على طعام المسكين (٣٤) فليس له اليوم هاهنا حميم (٣٥) ولا طعام إلا من غسلين (٣٦) لا يأكله إلا الخاطئون (٣٧) ﴿٢﴾

﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ (١) وجوه يومئذ خاشعة (٢) عاملة ناصبة (٣) تصلب ناراً حامية (٤) تسقى من عين آنية (٥) ليس لهم طعام إلا من ضريع (٦) لا يسمن ولا يغني من جوع (٧) ﴿٣﴾ وفي كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره ، ثم قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء ، فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد .

قال فلما خلق الله النار ، قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ، ثم قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : « ناركم هذه التي يوقدها ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » ، قالوا والله إن كنت لكفاية يا رسول

(١) سورة الواقعة آيات ٤١ - ٥٧ : الحنث العظيم أي الذنب العظيم وهو الشرك وقوله « شرب الهيم » أي الإبل العطاش التي لا تروى قوله « طعام من غسلين » أي من صديد أهل النار قوله « ضريع » أي شيء من النار كالشوك مرّ منتن .
(٢) سورة الحاقة آيات ٣٠ - ٣٦ .
(٣) سورة الغاشية آيات ١ : ٧ .

الله. قال : « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها » .
وذكر سفيان بن عيينة^(١) عن أبي هريرة . قال رسول الله ﷺ : « ناركم هذه
جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان
لأحد فيها منفعة » .

وفي كتاب الترمذى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى
ايضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ
إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ : « أتدرون ما هذا ؟ » قال : قلنا الله ورسوله
أعلم قال : « هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار
الآن حتى انتهى إلى قعرها فسمعتم وجبتها » .

وفي كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله
ﷺ : « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة ، أرسلت من السماء
إلى الأرض ، فى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل والنهار قبل أن
تبلغ أصلها أو قعرها » .

وفي صحيح البخارى عن أنس عن النبي ﷺ قال : « يقول الله : لأهون أهل
النار عذاباً يوم القيامة ، لو أن لك ما فى الأرض من شىء ، أكنت تفتدى به ؟
فيقول نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت صلب آدم أن لا
تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك » .

وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران أبو محمد مولى بن عبد الله بن ربيعة ولد بالكوفة وسكن مكة ولد
سنه سبع ومائة أدرك سنه وثمانين نفساً من أعلام التابعين وأسند عن جمهورهم كعمر بن دينار والزهري
وابن المنكدر وأبى حازم والأعمش وأيوب وحدث عنه كبار الأئمة كالثوري وشعبة والأعمش والأوزاعي .
توفى ابن عيينة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون وهو ابن واحد
وتسعين سنه . انظر صفه الصفوة ١ / ٤٦٦ .

ﷺ : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً » وفيه عن سمرة بن جندب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه » .

وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » .

وفي كتاب الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ » .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « لسرادق النار أربعة جدر ، وكشف كل جدار مسيرة أربعين سنة » .

قال ﷺ : « لو أن دلوا من غساق تهراق في الدنيا لأتتن أهل الدنيا » .

قال العلماء : الغساق : عرق أهل النار وصديدهم .

وقيل دموعهم يسقونها مع الحميم .

وقال ﷺ : « ويل واد في جهنم يهوى الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ويهوى كذلك أبداً » .

وقال ﷺ : « لو أن مقمعا من حديد وضع على الأرض فاجتمع الثقلان ما نقلوه من الأرض » . وقال : لو ضرب بمقمع من حديد الجبل لتفتت وصار غباراً » .

وفي كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني قد وكلت بثلاث ، بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين » .

وفي كتاب الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ في قوله :

﴿ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ (١).

قال يقرب إلى فيه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره .

يقول الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (٢).

ويقول جلا وعلا : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ (٣).

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسل ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان » .

وفيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « وهم فيها كالحن : قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرتة » .

وفى كتاب الترمذى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه فى جهنم كما بين مكة والمدينة » .

وفى صحيح مسلم قال : ضرس الكافر أوناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيره ثلاث .

وقال : ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يطؤه الناس » .

وفى كتاب الترمذى وغيره عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يكون فى النار حتى تسيل دموعهم

(١) سورة ابراهيم الآيتان ١٦ ، ١٧ . قوله « يتجرعه » أى يتكلف بلعه لحرارته ومرارته « وقوله لا يكاد يسيفه » أى لا يكاد يبلعه لشدة كراهته وتنته .

(٢) سورة محمد آية ١٥ .

(٣) سورة الكهف آية ٢٩ .

على وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون
فلو أن سفناً أُجريت فيها لجرت .

وحكى عن شقيق البلخي أنه كان يوماً يعاتب نفسه ويوصيها ويقول : يا
شقيق لا تعص الله إلا على حسب ما تطيق من عذابه وإعمل لآخرتك على
قدر حوائجك إليها ، واطلب الرزق على قدر مقامك في الدنيا ، واعمل لدار لا
نفاذ لها فسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار .

وروى أن الربيع بن خثيم كان يذهب إلى ابن مسعود فمر بحانوت حداد
فرأى الحديدية المحماة في الكبر فغشى عليه ، ولم يفق إلى الغد ، فلما أفاق سئل
عن ذلك ؟ فقال : تذكرت كون أهل النار في النار .

إخواني صححوا الإيمان : وهو تصديق القلب ، ولا يعتبر إلا مع التلفظ
بالشهادتين حتى تنجوا من خلود نار جهنم واحرصوا كل الحرص على الإتيان
بكمال خصال^(١) الإسلام حتى تنجوا من دخولها رأساً .

أيا عاملاً للنار جسمك لين	فجره تمرينا بحر الظهيرة
ودرجه في لسع الزناير تجترى	على نهش حيات هناك عظيمة
فإن كنت لا تقوى فويلك ما الذي	دعاك إلى إسقاط رب البرية
تبارز بالنكورات عشية	وتصبح في أبواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرى على الورى	بما فيك من جهل وخبط طوية
تقول مع العصيان ربى غافر	صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر	فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فإنك ترجو العفو من غير توبة	ولست ترجى الرزق إلا بحيلة
على إنه بالرزق كفل نفسه	لكل ولم يكفل لكل بجنة
إلهي أجرنا من عظيم ذنوبنا	ولا تخزنا وانظر إلينا برحمة

(١) خصال الاسلام : صفات الاسلام وقواعده .

وخذ بنواصينا إليك وهب لنا
إلهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا
وكن شغلنا عن كل شغل وهمنا
وصل صلاة لا تناهى على الذى
يقيناً يقينا كل شك ريبة
إلى الحق لهجاً فى سواء الطريقة
وبغيتنا^(١) عن كل هم وبغية
جعلت به مسكاً ختام النبوة

* * *

(١) بغيتنا : أى مرادنا وأملنا .

الخلود فى النار للكافرين

قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١) .

وفى كتاب الترمذى^(٢) عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يلقى أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلايب^(٣) الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنه جهنم ، فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، قال : فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك ، قال فيجيهم إنكم ماكثون .

قال الأعمش : ثبت أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم ألف عام ، قال : فيقولون ادعوا ربكم ، فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، قال فيجيهم : ﴿ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾^(٤) قال : فعند ذلك يمسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل .

ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على الجنة وبينهم حجاب فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد

(١) سورة البقرة آية ٣٩ .

(٢) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى ولد ٢٣٥ هـ وتوفى ٣١٢ هـ أحد أصحاب السنن ولد ضريراً بترمذ وتفرغ لجمع الحديث وحفظه من شيوخه أحمد بن حنبل والبخارى وأبو داود ومن مؤلفاته السنن الذى شرحه ابن العربى والسيوطى .

(٣) كلايب : جمع كلوب وهو المخطاف .

(٤) سورة المؤمنون آية ١٠٨ .

وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا : نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين ، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد^(١) إلى قعر جهنم .

قال : بعض المفسرين : هو معنى قول الله عز وجل :
﴿ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴾ (٢) .

وفى الكشف وأنوار التنزيل عن ابن عباس رضى الله عنهما : إن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار ، يقولون ألف سنة :
﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ (٣) .
فيجابون : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ (٤) .

فيقولون ألفاً : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٥) .

فيجابون : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ (٦)
فيقولون ألفاً : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رِبْكَ ﴾ (٧)
فيجابون : ﴿ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴾ (٨)

فيقولون ألفاً : ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ (٩)
فيجابون : ﴿ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ (١٠)

(١) مقامع الحديد : جمع مقمعة وهى حليده معوجة الرأس يضرب بها قال تعالى ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ انظر المعجم الوسيط مادة (ق م ع) .

(٢) سورة السجدة آية ٢٠ . (٣) سورة السجدة آية ١٢ . (٤) سورة السجدة آية ١٣ .
(٥) سورة غافر آية ١١ . (٦) سورة غافر آية ١٢ . (٧) سورة الزخرف آية ٧٧ .
(٨) سورة الزخرف آية ٧٧ . (٩) سورة إبراهيم آية ٤٤ . (١٠) سورة إبراهيم آية ٤٤ .

فيقولون ألفاً : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ (١) .

فيجابون : ﴿ أَوْ لَمْ نُنْعِمْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ (٢)

فيقولون ألفاً : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ (٣) .

فيجابون : ﴿ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٤) .

ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء (٥) .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم » .

وفي كتاب الترمذى : فلو أن أحداً مات فرحاً مات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزنًا مات أهل النار .

فاتق الله يا أخشى ولا تصغر ذنباً ولا تلق مثل هذا خلف ظهرك ظناً منك أنه إنما يلحق الكفار .

فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « يا بلال قم فأذن (٦) لا يدخل الجنة إلا مؤمن » .

وإنه ﷺ قال : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » .

(١) سورة فاطر آية ٣٧ .

(٢) سورة فاطر آية ٣٧ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٩٩ .

(٤) سورة المؤمنون آية ١٠٨ .

(٥) عواء : أى صراخ وصياح .

(٦) فأذن : أى فناد فى الناس بصوت عالٍ .

وقال الغزالي^(١) رحمة الله وكان شيخنا يقول : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في النار فلا تأمن على نفسك فإن الأمر على الخطر ولا تدري ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق لك في حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :
﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٢)
هي الموت على غير شهادة .

قال يقول ربنا تبارك وتعالى أخرجوا من عمل مقرا نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : إرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة

قال أبو حفص الحداد : المعاصي يريد الكفر كما أن الحمى يريد الموت .

وقال حاتم الأصم : لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة ، فلقى آدم فيها ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبه لقي ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم ، فانظر ماذا لقي ، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى فلم ينتفع بلاقائه أقرابه وأعداؤه .

وعن أبي بكر الوراق رحمه الله ، أنه قال : أكثر ما ينزع الإيمان من العبد عند الموت ، فنظرنا في الذنوب فلم نجد أنزع للإيمان من ظلم العباد .

أقنع فديتك بالقليل والزم مقارنة الخمول^(٣)
واملك هواك مجاهداً وتنح^(٤) عن قال وقيل

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ولد بطوس فيلسوف زاهد عابد له نحو مائتي مصنف من الأحياء والتهافت والمنقذ والمقاصد . انظر ترجمته في لسان الميزان ١ / ٩٣ .

(٢) سورة النور آية ٦٣ .

(٣) أى ولا تتكالب على الدنيا وكن هادئاً خاملاً .

(٤) تنح : أى تجنب وابعد . ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إنما أهلك الأمم من قبلكم القيل والقيل وكثرة السؤال » .

فلسوف تسأل يوم يحشر لك المليك عن الفتيل^(١)
 والمرء فى شغل بدا لك عن المصاحب واخليل
 لا بد تجزى ما صنعت من الدقيق وبالجليل^(٢)
 تنح ما استطعت على ذنوبك بالغدو وبالأصيل إن كنت ترغب فى الجنان ،
 وظل مولاك الظليل .

قال فى إكمال المعلم : اعلم ان الإجماع قد وقع على أن الكافر لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بتخفيف عذاب ، ولا بنعيم لكنهم بإضافة بعضهم إلى الكفر كبائر المعاصي وأعمال الشر وأذى المؤمنين يزدادون عذاباً .
 كما قال الله تعالى :

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ
 الْمُسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)
 حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ (٣) ﴾

فليس إذن عذاب أبى طالب كعذاب أبى جهل .

وذكر عن الحسن أن آخر من يخرج من النار يقال له هناد عذب ألف عام
 ينادى : يا حنان ، يا منان ، فبكى الحسن^(٤) وقال : يا ليتنى كنت هناداً ،
 فتعجبوا منه ، فقال : ويحكم أليس يوماً يخرج ولا شك أنه رحمه الله كان عالماً
 بأحكام الآخرة .

قال يحيى بن معاذ : لا تدرى أى المصيبتين أعظم ، أفوت الجنان ، أم

(١) الفتيل الخيط الذى فى شق النواة وهى كلمة كناية على أن الإنسان سوف يسأل عن كل صغيرة وكبيرة يوم القيامة قال تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .
 (٢) الدقيق : كل ما صغر ولطف . والجليل : كل ما كبر وعظم .
 (٣) سورة المدثر آيات ٤٢ : ٤٨ .

(٤) هو الحسن بن أبى الحسن اسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد الشهير بالحسن البصرى . ولد لستين بقيتاً من خلافة عمر بن الخطاب رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب من عباد البصرة وزهادهم . مات سنة ١١٠ هجرية وله تسع وثمانون سنة . انظر المشاهير ٨٨ .

دخول النيران ، أما الجنة فلا صبر عنها وأما النار فلا صبر عليها وعلى كل
حال ، فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم ، ثم الطامة الكبرى ، والمصيبة
العظمى هي في الخلود إذ أى قلب يحتمله وأى نفس تصبر عليه .

* * *

الجنة وما لها من النعيم

قال الله تعالى : ﴿ وَيَشْرِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ (١) .

والسابقون إلى الهجرة أو الخير .

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿ (١٥) ﴿ (٢) .

أى منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر ﴿ مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾

وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد .

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ ولا يشييون ولا يتغيرون .

﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ جمع كؤوب إناء لا عروة ولا خرطوم له .

﴿ وَأَبَارِيقُ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴾ (١٨) لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿ أى لا ينشأ عنها صداعهم ولا ذهاب عقلهم .

﴿ وَقَاكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّوْنَ ﴾ (٢٠) وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ (٢١) وَخُورٌ عَيْنٍ ﴿ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿ (٢٣) أى المصون عما يضر به .

﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴿ عبثاً باطلاً ﴿ (٤) .

﴿ وَلَا تَأْنِيًا ﴾ أى ما يوقع فى الإثم .

﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ أى إلا التسليم منهم بعضهم على بعض .

(١) سورة البقرة آية ٢٥ .

(٢) سورة الواقعة آيات ١٠ - ١٥ .

(٣) سورة الواقعة آيات ١٧ - ٣٢ .

(٤) هذا هو جزاء المؤمنين المتقين وجزاء من باع نفسه وماله لله تبارك وتعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ والجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هكذا أخبرنا عنها رسول الله ﷺ .

- ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ وهم الأبرار دون المقربين .
- ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾^(١) أى لا شوك له أو مثنى الغصن من كثرة الحمل .
- ﴿ وَطَلْحٍ ﴾ موز .
- ﴿ مَنضُودٍ ﴾ متراكم قد تضدد بالحمل من أسفله إلى أعلاه .
- ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ أى منبسط أو دائم .

وفى الحديث : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها ﴾ وماءٌ مُسْكُوبٍ ﴾ أى مصبوب يجرى على وجه الأرض من غير أخذود^(٢) .

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾^(٣) لا مقطوعة فى زمان ﴾ وَلَا مَمْنُونَةٍ ﴾ من أحد

﴿ وَفَرْشٍ مَّرْقُوعَةٍ ﴾^(٤) كما بين السماء والأرض ﴾ وَجُودَةٍ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٍ ﴾ ذات بهجة ﴾ لِسَعِيهَا ﴾ فى الدنيا ﴾ رَاضِيَةٍ ﴾ فى الآخرة لما رأت من ثوابها

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ المحل أو القدر ﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ لغوا ﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾^(٥) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾^(٦) رفيعة السمك إذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترتفع ﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ بين أيديهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض ﴾ وَزُرَابِيُّ ﴾ بسط فاخرة ﴿مَبَثُوثَةٌ﴾^(٧) مبسوطة .

(١) السدر : شجر التبق المعروف فإن المؤمنين يتنعمون به وقوله مخضوض أى مقطوع شوكه وأخرج سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى فى البعث عن عطاء ومجاهد قالا : لما سأل أهل الطائف الوادى يحمى لهم وفيه غسل ففعل وهو واد معجب فسمعوا الناس يقولون إن فى الجنة كذا وكذا قالوا : ياليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فأنزل الله ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ فى سدر مخضوض .

وورد عنه ﷺ أنه جاءه رجل وسأله يا رسول الله إنا سمعنا أن فى الجنة شجرة ما علمنا فيها خيراً قال وما هى قال شجرة السدر فإن كلها أذى فقال له رسول الله ﷺ أما سمعت قوله تعالى ﴿ وسدر مخضوض ﴾ أى لا شوك فيه ولا أذى .

(٢) الأخدود : الشق المستطيل على الأرض وتجمع على أخاديد .

(٣) سورة الواقعة آيات ٢٤ - ٣٤ .

(٤) سورة الغاشية الآيات ٨ : ١٣ .

(٥) سورة الغاشية الآيات ١٤ : ١٦ .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
قال تعالى : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر » .

اقرأوا إن شئتم :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

قال أهل اللغة قرّة أعين يعبر بها عن المسرة ، ورؤية ما يحب الإنسان ويوافقه

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « إن
الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة » اقرأوا ما شئتم

﴿ وظل ممدود ﴾ ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس
أوتغرب » .

وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة^(٢) قال : قلت يا رسول الله مم خلق
الخلق؟ قال « من الماء » قلنا الجنة ما بناؤها؟ قال : « لبنة^(٣) من ذهب ، ولبنة
من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصبائها^(٤) اللؤلؤ والياقوت ، وترابها
الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يئأس ، ويخلد ولا يموت ولا يفنى شبابهم ،
ولا تبلى ثيابهم » .

وفى صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : « إن أول زمرة تدخل الجنة على
صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ،

(١) سورة السجدة آية ١٧ .

(٢) أبو هريرة اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسى الحافظ له خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون
حديثا اتفق على ثلاثمائة وخمسة وعشرين وأنفرد بتسعة وسبعين كما يذهب البخارى أو بثلاثة وتسعين
كما يذهب مسلم أخذ عنه إبراهيم بن حنين وأنس وبشر بن سعيد وسالم وابن المسيب ويقال أن ثمانمائة
من الثقات زادوا عنه ويقول ابن سعد فى طبقاته أنه كان يسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة .

وقال الواقدى أنه مات سنة تسع وخمسين هجرية عن ثمان وسبعين سنة .

(٣) اللبنة : ماينى به من طوب وأحجار وغيرها .

(٤) الحصباء : صغار الحجارة .

لكل امرئ منهم زوجته اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب « (١) .

وفيه أيضاً : « ... لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون ، ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء » .

وفيه أيضاً : « ... لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشية » (٢) .

وفيه (٣) قال : يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس .

وفى الصحيحين قال : « إن أهل الجنة يترأؤون أهل الغرف من فوقهم كما يترأؤون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

وفى مسند البزار عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهية فيجىء مشوياً بين يديك » .

وفى كتاب الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » فقام إليه أعرابى فقال : لمن هى يا رسول الله فقال « هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » .

(١) أى كل من فى الجنة معه زوجته ولا يوجد فيها عزبا .

(٢) أى يسبحون ربهم صباحاً ومساءً .

(٣) أى فى صحيح مسلم .

وفى كتاب الترمذى عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ قال : « لو أن ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس^(١) ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » :

وفى كتاب الترمذى^(٢) عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لسوقاً مجتمعاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها » .

وفى كتاب الترمذى عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً قال يا رسول الله هل فى الجنة من خيل ؟ قال : « إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها فرس من ياقوته حمراء تطير بك فى الجنة ، حيث شئت إلا حملت » . وسأله رجل فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من إبل فقال « إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتئت نفسك ولذت عينك » .

وفى كتاب الترمذى قال : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليه أبداً ، وكذلك أهل النار » وقال : « إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب » .

وفى كتاب الترمذى قال ﷺ : « إن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاهما درجة ، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس » .

وحكى أن أصحاب الثورى كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله^(٣) ، فقالوا : يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضاً إن شاء الله تعالى ، فقال سفيان كيف لا أجتهد وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور يضىء له الجنان الثمان فيظنون أن ذلك نور من عند

(١) طمس : أى محا وأزال .

(٢) المسمى بسنن الترمذى أو الجامع الصحيح .

(٣) رقة حاله : أى زهده وتقشفه .

الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين فينادون أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذى
تظنون إنما هو نور جارية تبسمت فى وجه صاحبها ثم أنشد يقول :

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بؤس وإقتار^(١)

تراه يمشى كئيباً خائفاً وجلاً إلى المساجد يمشى بين أطمار^(٢)

يا نفس مالك من صبر على النار قد حان أن تقبلى من بعد إدبار^(٣)

وقيل لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال بلى ولكن
ليس مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك ،
ذكره البخارى فى صحيحه .

وروى أن الله عز وجل أوحى إلى موسى : « ما أقل حياء من يطمع فى
جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من يبخل بطاعتي ... » .

وعن شهر بن حوشب : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار
الشفاعة بل سبب نوع من الغرور ، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق
وخزلان .

وعن رابعة البصيرة أنها كانت تنشد :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال الشيخ اليافعى رحمة الله عليه :

فيا عجباً لدرى بنار وجنة وليس لذى نشاق أو تلك نحذر

إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا فماذا بقى فينا من الخير يذكر

ولسنا لحر صابرين ولا بلى فكيف على النيران يا قوم نصبر

وفوت جنان الخلد أعظم حيرة على تلك فليتحسر المتحسر

(١) البؤس : الشقاء والحزن . والإقتار : البخل والإمساك .

(٢) أطمار : الثياب القديمة البالية ومفردها طمر انظر مختار الصحاح مادة (ط م ر) .

(٣) إدبار : هروب والمعنى يخاطب الثورى نفسه معرفاً لياها أنها لا تستطيع أن تصبر على النار ويحضنها
على العبادة وعدم الادبار عن طريق الخير .

فَأَفْ^(١) لَنَا أَفْ كِلَابِ مَزَابِلِ^(٢) إِلَى نَتْنَهَا نَفْسُكَ وَلَا نَتْدَبِرُ
نَبِيْعَ خَطِيْرًا بِالْحَقِيْرِ عَمَائِمَ وَلَيْسَ لَنَا عَقْلٌ وَقَلْبٌ مِنْوَرٌ
فَطَوْبَى^(٣) لِمَنْ يُوْتَى الْقِنَاعَةُ وَالتَّقَى وَأَوْقَاتِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَعْمُرُ
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْوَارِثِينَ لِلْجَنَّةِ وَلَا تَحْرِمْنَا مِنْ رَفْدِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا
عَظِيمَ الْمُنَّةِ .

* * *

(١) هذه الكلمة اسم فعل مضارع بمعنى انضجج
(٢) والمعنى أنه يحقر نفسه مشبها إياها بكلاب المزابل والرمم والقاذورات وما تأباه النفس وقوله هذا كناية
عن ضجره من طباع النفس فأراد أن يستصغرها ويحقرها .
(٣) طوبى : أى الحسنى والخير .
وطوبى : شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة .
قال تعالى « طوبى لهم وحسن مآب » .
اللهم اجعلنا من أهلها يارب العالمين وأجرنا من النار إنك على كل شىء قدير .

صفة الحور العين

قال الله تعالى :

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ^(٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ^(٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ^(٢) .

وقال : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ^(٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ^(٣٦) عُرُباً أَتْرَاباً ^(٣٧) لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ^(٣) .

وفى صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة آيتيهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتيهما وما فيهما ، وما بين القوم ، وبين أن ينظروا إلى ربهم ^(٤) ، إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن : أى صفة الكبرياء والعظمة فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه حتى يأذن لهم في دخول جنة عدن فيرونها فيها » .

وفى صحيح مسلم قال : « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو ^(٥) في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلهم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » .

(١) سورة الواقعة آيات ٢٢ - ٢٤ واللؤلؤ المكنون : المصون في أصدافه مما يغيره .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٨ .

(٣) سورة الواقعة آيات ٣٥ - ٣٨ .

عربا : متحبات إلى أزواجهن

أترابا : مستويات في السن .

(٤) قال تعالى في إمكان الرؤية يوم القيامة . ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾

(٥) تحثو : أى تنثر وتثير .

وفى كتاب الترمذى قال : « إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب درى فى السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها » .

وفى كتاب النسائى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال : « يعطى قوة مائة » .

وفى كتاب الترمذى عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة يجتمعاً للحوار العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها^(١) » يقلن : نحن الخالدات فلا نبسد ، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، فطوبى لمن كان لنا وكنا له » .

وفى كتاب الترمذى : قال رسول الله ﷺ : « لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

قال فى الصحاح^(٢) النصيف : الخمار .

وفى كتاب الترمذى قال : قال رسول الله ﷺ : « أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، كما بين الجابية إلى صنعاء » .

وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً » .

وفى صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبه ، عن النبى ﷺ قال : « سأل موسى

(١) لم يسمع الخلائق مثلها : أى فى الحسن والنقاء وجمال الأصوات .

(٢) أى فى معجم مختار الصحاح .

عليه السلام ربه ما أدسى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له ادخل الجنة ، فيقول : أى رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له أترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب ، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتيت نفسك ولدت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزله ، قال : أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر .

قال ومصادقه من كتاب الله تعالى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل لكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

إخوانى : اتركوا الدنيا واكدهوا للآخرة وارفضوا حب نساء الدنيا واشتروا الحور الفاخرة فإنها تدرك بأيسر الأثمان وتكون معكم مخلدة فى الجنان .

وروى عن مالك بن دينار رضى الله عنه أنه كان يوماً ماشياً فى أزقة البصرة ، فإذا هو بجارية^(٢) من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية : أبيعك مولاك ؟ فقالت : كيف قلت يا شيخ ؟ قال : أبيعك مولاك ؟ قالت : ولو باعنى أكان مثلك يشترينى قال : نعم وخيراً منك ، فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها ، فحمل فدخلت إلى مولاه فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل به إليه ، فأدخل ، فألقيت له الهيبة من قلب السيد ،

(١) سورة السجدة آية ١٧ .

(٢) جارية : أى فتاه .

قال : ما حاجتك ، فقال بعنى جاريتك ، قال : أوتطيق أداء ثمنها ؟ قال : ثمنها عندى نواتان^(١) مسوستان فضحكوا ، قال وكيف كان ثمنها عندك هذا؟ قال : لكثرة عيوبها ، قال : وما عيوبها . قال : إن لم تتعطر دفرت^(٢) ، وإن لم تستك بخرت^(٣) ، وإن لم تتمشط وتدهن قملت وشعثت ، وإن تعمرت عن قليل هربت ، ذات حيض وغائط وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار ، ولعلها أن لا تودك إلا لنفسها ، ولا تحبك إلا لتنعمها ، لا تفى بعهدك ، ولا تصدق فى ودك ، ولا يخلف عليها أحد بعدك إلا رأته مثلك ، وأنا أخذ بدون ما سألت فى جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور ومن المسك والجوهر والنور لو مزج ريقها أجاج البحر لطاب ، ولو دعى بكلامها ميت لأجاب ، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه وكسفت^(٤) ، ولو بدا فى الظلماء لأنارت به وأشرفت ، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت به وتزخرفت ، نشأت من بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان ، وقصرت فى خيام النعيم وغذيت بماء التنسيم ، لا تخلف عهدا ، ولا تبدل ودها فأيهما أحق برفع الثمن ؟ قال : التى وصفت ، قال فإنها الموجودة الثمن القريبة الخطب من كل زمن قال فما ثمنها رحمك الله ؟ قال أيسر المبدول لنيل الخير المأمول أن تتفرغ ساعة فى ليلك فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن يوضع طعامك فتذكر جائعاً فتؤثره الله تعالى شهوتك وأن ترفع حجراً أو قدراً وأن تقطع أيامك بالبلغة^(٥) والقلة وترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش الدنيا بعز القناعة وتأتى إلى موقف الكرامة آمناً غداً وتنزل الجنة دار النعيم فى جوار المولى الكريم مخلداً .

فقال يا جارية أسمع ما قال شيخنا هذا ؟ قالت نعم قال أفصدق أم كذب قالت بل صدق وبر ونصح قال فأنت إذا حرة لله تعالى ، وضبعة كذا وكذا

(١) نواتان : مثنى نواه وهو ما يوجد داخل التمر .

(٢) دفرت : أى خبثت رائحتها وتنتت .

(٣) بخر الفم : أى انتنت ريحه .

(٤) أى لاخفى نور الشمس بسبب نورها .

(٥) البلغة : أى القليل والحقير الدنىء من العيش وغيره .

صدقة عليك ، وأنتم أيها الخدم أحرار وضيعة كذا وكذا لكم ، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالى فى سبيل الله ، ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابها فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به فقالت الجارية لا عيش بعدك يا مولاي فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشناً وخرجت معه فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما وأخذ طريقاً غيره فتعبدا جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة .

رحمهما الله ورضى الله عنهما ونفعنا بهما وبسائر الصالحين ، اللهم يسر علينا متابعتهم وأوصل إلينا فتوحاتهم وأدم لنا بركاتهم وألحقنا بهم وأحشرنا فى زمريهم واهدنا هداهم واسلكنا طريقهم آمين .

* * *

رؤية الله تبارك وتعالى فى الجنة

قال الله تعالى :

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾ .

وفى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦) .

قال العلماء الحسنى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى الكريم اللهم أرزقنا ذلك بفضلك .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه تعالى غدوة وعشية ثم قرأ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢٣) .

وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال : « نظر رسول الله إلى القمر ليلة البدر قال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ (٢٤) وفى كتاب الترمذى عن

(١) سورة القيامة الآيات ٢٢ - ٢٥ .

قوله : ناصره : أى حسنة مشرقة متهللة

باسرة : أى شديدة الكلوحة والعبوس . فاقرة : أى داهية عظيمة تقصم فقار الظهر .

(٢) سورة يونس آية ٢٦ .

(٣) سورة القيامة ٢٢ : ٢٣ .

(٤) سورة طه آية ١٣٠ .

سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق ؟ قال نعم أخبرني رسول الله ﷺ « أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم يبرز لهم عرشه ويبتدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أديانهم وما فيهم دنيء على كئبان المسك^(١) والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً » .

قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال « نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ » قلنا لا ، قال « كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول أفلم تغفر لي فيقول فبسة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ويقول ربنا : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فيأتون سوقاً قد حفت بهم الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيجمع لنا ما اشتهيها ليس يباع فيها ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً » .

قال « فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه ، وذلك أنه لا يبغى لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقبلن مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما رزقنا فنقول إنا جلسنا اليوم ربنا الجبار ويحق لنا أن نقلب بمثل ما انقلبنا » .

قال بعض السادات رأيت غلاماً في البرية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد قد انقطع عن العمارة والناس فسلمت عليه وقلت له يا فتى أنت منقطع بلا معين

(١) كئبان المسك : أى مرتفعات المسك والكافور .

ولا رفيق ، فقال بلى وعزته معى المعين و الرفيق ، فقلت فأين المعين والرفيق ؟ فقال هو فوقى بقدرته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدي بهدايته وعن يميني بنعمته وعن شمالي بعصمته ، قال فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له هل لك فى المرافقة فقال هيهات مرافقتك تشغلنى عن خدمته. وما أحب أن يكون هذا لى ولي ملك الدنيا من شرقها إلى غربها فقلت له أما تستوحش فى هذا المكان فقال لى يا هذا من كان المولى حبيبته وأنيسه كيف يستوحش ، فقلت من اين تأكل ؟ فقال يا هذا الذى غذانى برفقه فى ظلمة الأحشاء صغيراً تكفل بى كبيراً ولى عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته الدعاء فقال لى حجب الله طرفك عن معصيته وملاً قلبك بخشيته ولا جعلك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ثم ذهب ليقوم فتعلقت به وقلت له يا أخى متى ألقاك فتبسم وقال أما بعد يومك هذا فلا تحدث به نفسك فى الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس فإن كنت ممن تلقانى فاطلبنى فى جملة الناظرين إلى الله فقلت له : ومن أين عرفت ذلك ؟ فقال به وعدنى ربى ، ذلك أنى غضضت طرفى عن النظر الى المحرمات ومنعت نفسى من تناول الشهوات وخلوت بخدمته فى الليالى المظلمات ، ثم غاب عنى فما رأيته .

اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الثلاث فنظفر بلقائك يوم الدين ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة إذا جاؤوها :

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (١) .

وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم .

تم بحمد الله وتوفيقه .

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

الفهرس

٣	مقدمة المؤلف
٧	التحذير من الاغترار بالدنيا
١١	الاستعداد لنزول الموت
١٥	ذم طول الأمل
١٨	قصر الأمل
٢٢	سكرات الموت
٢٦	عذاب القبر للكفار ولبعض عصاة المؤمنين
٣٠	أحوال الموتى
٣٤	أشراط الساعة وأحوالها
٣٨	النفخ فى الصور
٤١	شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم
٤٣	الحساب
٤٧	فصل فى الميزان
٥١	المرور على الصراط والحوض
٥٦	الشفاعة الكبرى
٦١	عذاب الكافرين فى جهنم
٦٨	الخلود فى النار للكافرين
٧٤	الجنة ومال أهلها من النعيم

٨٦ صفوة الحور العين
٩١ رؤية الله تبارك وتعالى في الجنة



